التحريف الصوتي إحدى وسائل المتكلم لغايات التلطف

د. هيثم حماد الثوابية*

د. محمد علي الهروط**

تاريخ تقديم البحث: ٥/٧ /٢٠١٧م. تاريخ قبول البحث: ١١/٢ /٢٠١٨م.

ملخص

إنّ معظم المجتمعات الإنسانية تستحيي من التعبير بعبارات أو ألفاظ صريحة عن مدلولات مُحْرِجَة مخالفة لعُرْفِها الاجتماعي؛ لذلك تعبر عن مبتغاها بأساليب غير مباشرة تلطفا واحتشاما، عبر استعمال وسائل متعددة، ومنها توظيف المجاز في استعمال الألفاظ، والتحريف الصوتي، ويسعى هذا البحث إلى رصد مجموعة من الشَوَاهِدِ اللغوية التي انتابها تحريف صوتي في بنيتها، وبخاصة تلك الشواهد التي كان (التلطف) دافعا رئيسا في تحريف بنيتها.

والتحريف الذي نقصده هنا؛ هو تغيير صامت مكان صامت في الكلمة على إطلاقه؛ أي بمفهومه العام، سواء أكان التغيير الصوتي مُتَّسِقَاً مع القواعد التي ارتضاها اللغويون القدامى أم غير متسق.

وقد قُسِّمَ البحث إلى قسمين: نظري، وتطبيقي؛ إذ تناول الجانب التطبيقي موضوع التلطف: مفهومه، ودوافعه، وأساليبه. أما القسم العملي فجاء رصدا وتحليلا لبعض الألفاظ المحرفة صوتيا، التي كان للبعد الاجتماعي (التلطف) المحيط بالمتكلم سبب رئيس في تحريفها.

الكلمات الدالة: التحريف الصوتي، التلطف، البيئة اللغوية الاجتماعية.

* قسم اللغة العربية، الجامعة الألمانية الأردنية.

** قسم اللغة العربية، الجامعة الألمانية الأردنية.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Vocal Distortion as One of the Speaker's Means of Attenuation
Summary

Dr. Haytham Hamaad Al-Thawabiah

Dr. Mohammed Ali Al-Horoot

Abstract

Most human societies shy away from indicative words or expressions of embarrassing meanings contrary to their social knowledge; therefore, they express their desired meaning decently and indirectly by various means, including the use of metaphors in the use of words and the use of phonetic distortion.

This research seeks to monitor a number of linguistic evidence that has been distorted by the sound structure, especially those evidence where attentuation is a major motive in the distortion of its structure. The misrepresentation here is a silent change in a silent place in the word generally speaking; that is, in its whole sense, whether the change of voice is consistent with the rules that old linguists have accepted or are inconsistent.

The research has been divided into two parts: theoretical and applied. The practical aspect has dealt with the issue of moderation: its concept, motives and methods. The practical section has come to monitor and analyze some of the words that have been distorted by voice where the social dimension of the speaker has been a major reason for distortion.

Keywords: vocal distortion, attenuation, social linguistic environment.

المِهاد:

ارتبطت اللغة بالإنسان ارتباطًا وثيقًا منذ البدايات الأوليات لنشأتهما، فكانت اللغةُ – وبخاصة المكتوبة والمنطوقة – وما زالت الوسيلةَ الأهَمَّ التي يُعبِّر بها الإنسان عن مقاصده ومشاعرِه وانفعالاته، ولا غَرْوَ في أنَّ الإنسان – وما ينتجه من سلوكٍ ولغةٍ وغيرِها – يتأثر بالظُّروف الاجتماعية والعوامل النفسيَّةِ والجغرافيا المحيطة به، وهذا ما أكده ابن خلدون حين رأى أنّ طبائع الناس وسلوكاتهم تتأثر بجغرافية أمكنتهم، والدليل على ذلك أنّ الشعراء يستلهمون أخيلتهم من مظاهر البيئة الطبيعية، ولنا في قصة الشاعر علي بن الجهم مع الخليفة العباسي المتوكل – وإنْ كان بعض الباحثين يشكك في صحتها – مَثَلٌ على هذا الأمر، ذلك أنّه عندما أراد – على عادة الشعراء – أنْ يخص المتوكل بشيء من المدح، قال له:

أنتَ كَالكلبِ فِي حِفَاظِكَ للـــودّ وكَالتَيْـــسِ في قِـــرَاعِ الخُطُوبِ

ويبدو أنّ عليا قد استلهم تشبيهاته من بيئته، لذلك أراد وزراء المتوكل أنْ يطرحوه أرضًا ويُوسِعُوه ضربًا، لكنّ المتوكل بفطنته فهم الأمر، وقال لهم: أرسلوه إلى شاطئ دجلة، فلمّا مكث غير بعيد، عاد إلى المتوكل وقد رقّ طبعه؛ لينشده قوله:

عُيُونُ المَهَا بين الرُّصَافة وَالجِسْـرِ جَلَبْن الهوى من حيثُ أَدْرِي ولا أَدْرِي

إذا، فأثر المحيط الجغرافي كان باديًا على لغة علي، فما قاله في أول أمر، تغير إلى الغزل والرّقة حينما تغيرت بيئته الجغرافية، لذلك عقَّب المتوكل بعد سماعه تلك الأبيات بقوله: "لقد خشيت عليه أن يذوب رقة ولطافة" [(١)].

وما يعنينا في هذا البحث تأثير الإنسان على لغته أو لهجته، فمن المسلَّم به أنّ تأثر الإنسان اجتماعيًا ونفسيًا – فرحًا وحزنًا وطمأنينةً وخوفًا وحياءً – يرتدّ صداه – إيجابًا وسلبًا – على لغته أو لهجته، ومن مظاهر هذا الارتداد تغيير أصوات الكلمة، أو استبدال كلمة أخرى بالكلمة الأصل لا عن ناحية رياضية فيزيائية بحتة تتمثل بالقوانين الصوتية واتفاق الجذور، بل من ناحية اجتماعية تتمثل بمشاعر الكياسة والتأدب والتفاؤل التي تدفع المُتكلم إلى استعمال نمطٍ ما من اللغة بوصفه ردة فعل طبيعية لتلك الدوافع.

(١) انظر: ابن عربي، محي الدين، **محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار**، ط١، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٨، ج٢، ص ٨. جاد المولى، محمد أحمد، وآخرون، **قصص العرب**، ط٤، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ج٣، ص٢٩٨.

وهذه النظرة الشمولية للغة نجدها عند اللغوي دي سوسير حين قرر أنّ للغة جانبين: جانبًا عضويًا يتمثل في حركات أعضاء النطق أثناء العملية الكلامية (articulatory movements)، وآخرَ نفسيًا يتمثل في العوامل النفسية التي ترافق الحدث الكلامي (auditory impression) [١].

إذا كنَّا – معْشر المتَخصصين باللُغَات – نُؤْمِنُ بِمَقُولَةِ: (إن اللُغَة ظَاهرة اجْتِمَاعِيَّةٌ وَسُلُوكٌ إِنْسَانِيٌّ) فَهَذَا اعْتِرَافٌ ضِمْنِيٌّ أَنَّ اللُغَةَ صِنَاعَةٌ مُجْتَمَعِيَّةٌ، وَاللَاعِبُ الأَبْرَزُ فِي المُجْتَمَعِ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي يُغَيِّرُ وَيُبَدِّلُ فِي اللُغَةِ عَبْرَ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ، فَتُصْبِحُ اللُغَةُ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ "كَالكَائِنِ الحَيِّ، يَتَطَوَّرُ عَلَى الدَّوَامِ بِتَطَوُّرِ المُجْتَمَعِ، وَيَنْمُو تَبَعَاً لِنُمُوِّ الأَفْكَارِ، وَتَنَوُّعِ الحَاجَاتِ"[٢]، وَبِمَا أَنَّ ظاهرة التغيير في صوامت الكلمات تُعَدُّ ظَاهِرَة اجْتِمَاعِيَّة وَسُلُوكا إِنْسَانِيّا، فحينئذ ينبغي قراءتها من منظور تأثير المجتمع فيها والأسباب الداعية إليها، لا الوقوف فقط – في تفسيرها – عند التفسير اللغوي الصِّرْف للشكل النهائي للظاهرة المعتمد على القوانين اللغوية التي تتحكم بمستويات اللغة المتعددة، فالأداءات اللغوية هي نتاجات إنسانية، تُقرأ من وجهين: الأسباب الخفية لإنتاجها، والجانب الشكلي لها كتابة ونطقًا.

إن تغيير بنية الكلمات صوتيا من الظواهر اللغوية التي تحظى بتفسيرات شتى بناءً على قواعدَ وأنظمةٍ صوتيةٍ – التي لا ننكر وجاهتها – لكنّ هذه القواعد جاءت تحليلا وتعليلا للنتيجة (التشخيص الخارجي/ ردّة الفعل)، وليس لسبب النتيجة (الفعل/ المقدمات)، لكنّ السؤال الوجيه، ما الأسباب الأخرى – غير العوامل الفيزيائية الصوتية واللهجية – التي دفعت العرب قديما إلى تغيير صوامت الكلمات؟ فتغيير صوامت الكلمات ردّة فعل، أو استجابة لمُثير ما، فما هو المُثير أو الفعل نفسه؟

من هنا جاءت فكرة هذا البحث؛ لتوضيح الدافع من تغيير صوامت بعض الألفاظ؛ وهو عامل (التلطف)، إذ رصد البَحْث جملةً من المفردات التي انتابها تغيير في بعض صوامتها، وتشترك في حقل دلالي واحدٍ – إذ جاز لنا أنْ نجمعها في حقل دلالي – وهو حقل الألفاظ المُرتبطة بالتلطف.

إن دراسة علاقة التفاعل بين اللغة والمجتمع تندرج تحت علم اللغة الاجتماعي؛ كونه ينظر في التغيرات التي تصيب بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة [٣]، فالظروف الاجتماعية توثر

(١) كمال بشر، **علم اللغة العام (الأصوات)**، ط٢، مصر، ١٩٩٨، ص٤٢.

(٢) الحُصَريّ، سَاطِع، **فِي اللُغَةِ وَالأَدَبِ وَعَلَاقَتهمَا بِالقَومِيَّةِ العَرَبِيَّةِ**، ط٢، مَرْكِز دِرَاسَات الوَحْدَة العَرَبِيَّة، ١٩٨٥، ص٣١.

(٣) نهر، هادي، **اللسانيات الاجتماعية عند العرب**، ط١، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، ١٩٩٨، ص١٨.

في ماهية التركيب اللغوي من حيث طرائق التكلم واختيار الموضوعات والكلمات وسبك التراكيب[١]، فالمنظور الاجتماعي يتصف "بتمثيل الممارسات الاجتماعية وترميزها"[٢].

وقد حصر هاليداي مواطن اهتمامات علم اللغة الاجتماعي بما يلي: الازدواجية اللغوية، والتخطيط والتنمية اللغوية، وظواهر التنوع اللغوي، وعلم اللهجات الاجتماعي، والتربية، والدراسات الوصفية للأوضاع اللغوية، والسجلات والفهارس الكلامية، والعوامل الاجتماعية في التغير الصوتي، واللسان والمجتمع وتطور اللغة عند الطفل، والنظرية الوظيفية والنظام اللغوي [٣].

ويتضح أنّ علم اللغة الاجتماعي يهتم بالمفردات كل الاهتمام، فاختيارها لتكوين حدث كلامي يقوم على عدة عوامل رئيسية، هي: شخصية المتكلم، وموضوع الخطاب، وهدف النصّ الكلامي، والعوامل الاجتماعية المرافقة له، وموقع الكلمات من التركيب اللغوي [٤].

وهذا الأمر يؤكد أهمية الإطار الاجتماعي الذي تُسْتَعْمَلُ ضِمْنَه اللغةُ، فتتأثر بمعطياته، وتتكيف مَعَ عناصره، وعلى هذا فاللغة "عنصر بشري في موقف لغوي ما وعنصر موضوعي، يعمل على تحديد نوع الكلمات المستعملة "[٥].

ولا ريب في أنّ هذه النظرة الاجتماعية إلى اللغة ليست وليدة العصر الحديث، فخير من مثّل هذا الاتجاه من علمائنا اللغويين القدامى القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) حين قال: "وقد كان القومُ يختلفون في ذلك، وتتباينُ فيه أحوالهم، فيرقّ شعرُ أحدهم، ويصلُب شعرُ الآخر، ويسهل لفظُ أحدهم، ويتوعّر منطقُ غيره؛ وإنّما ذلك بحسَبِ اختلاف الطبائع، وتركيب الخلْق؛ فإنّ سلامةَ اللفظ تتبعُ سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخِلقة. وأنت تجدُ ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك، وترى الجافي الجِلْف منهم كزّ الألفاظ، معقّد الكلام، وعْر الخطاب؛ حتى إنّك ربّما وجدتَ ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرْسه ولهجته. ومن شأن البداوة أن تُحْدث بعض ذلك"[٦].

ويفهم من كلام القاضي الجرجاني أنّ رقّة الكلام ولطفه تتأتّى من المتحدث الذي ينضاف طبعه إلى حديثه، وهذا الأمر تأكيد لأثر الموقف النفسي والاجتماعي المحيط بالعملية الكلامية.

---

(١) بشر، كمال، **دراسات في علم اللغة**، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣، ص٥٨.

(٢) أشار، بيار، **سوسيولوجيا اللغة**، ترجمة: عبد الواحد ترو، ط١، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٩٦، ص١٣.

(٣) انظر: المسعودي، ليلى، **من النظرية اللسانية إلى تنظير الواقع**، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، ١٩٨٥، ص ٥-٦.

(٤) الموسى، نهاد، **نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية** المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، مج٤، ع١، ١٩٨٥م، ص٥، السعران، **علم اللغة**، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣، ص٣٣٩.

(5) Personality and Language in Society in Papers in Linguistics , Farth, j (1957)

(٦) الجرجاني، القاضي، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي، ص١٨.

كما نجد العرب تُعَبِّر عن الأفعال التي تُسْتَرُ عن العيون، وَتَتَأَذَّى منها النفوس بألفاظ تدلّ عليها، لكنَّها غيرُ موضوعة لها؛ تنزيها عن إيرادها على جهتها وتحرُّزَا عما وضع لأجلها، فالحاجة إلى ستر أقوالهم كالحاجة إلى ستر أفعالهم، فيتحرزون عن التصريح بالتعريض، فيُكنُّون عن لفظه؛ إكراما لأنفسهم عن التلفظ به [١].

وقد توسع اللغويون العرب في دراسة هذا الجانب حتى أفردوا أبوابا في كتبهم، فالثعالبي (ت ٤٢٩هـ) – مثلا – في كتابه (فقه اللغة وسرّ العربية) وَسَمَه بـ (فصل في الكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه)[٢].

وأطْلَقَ بعضُ الباحثين على الابتعاد عن القبيح المستكره من الألفاظ تسميات متعددة، فهو عند كمال بشر (حُسن التعبير)[٣]، وعند كريم زكي (تحسين اللفظ)[٤]، وعند أحمد مختار عمر (التلطف)[٥]، وعند محمد الخولي (لطف التعبير) [٦].

ويرى الباحثان أنّ (التلطف) من أدقّ التعابير وأكثرها دورانا وانتشارا في مِساحة البحوث العلمية، كونه عبّر عن حيوية اللغة ومتكلمها في صورتها وصيرورتها، وهو لفظ مُشْتق من المادة اللغوية (لطف)، وهي مادة تدور حول المعنى العام (التَّرَفق)[٧]، وروى الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) عن عمرو عن أبيه أنّه قال: "اللطيف: الذي يوصل إليك أربك في رفق[٨].

وأمّا اصطلاحًا فهو عند أحمد مختار عمر: "إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولا"[٩]، وعرّفه محمد الخولي بـ: "استبدال تعبير غير سار بآخر أكثر مقبولية منه"[١٠]، وقال أولمان (Ullman) عنه: "وسيلة مقنعة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعه"[١١].

(١) الجرجاني، أبو العباس، **المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء**، تحقيق: السيد محمد الحلبي، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٠٨، ص٥.

(٢) الثعالبي، أبو منصور، **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق: مصطفى السقا، ١٩٧٢، ص٣٨٦.

(٣) أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، ص١٩٦.

(٤) كريم زكي الدين، **المحظورات اللغوية**، مكتبة الأنجلو، مصر، ١٩٨٥، ص١٧.

(٥) أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ط١، مكتبة العروبة، الكويت، ١٩٨٢، ص٢٤٠.

(٦) الخولي، محمد، **معجم علم اللغة النظري (انجليزي – عربي)** مكتبة لبنان، ص٨٨.

(٧) ابن فارس، أحمد، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩، مادة (لطف).

(٨) الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠١، مادة (لطف).

(٩) أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص٢٤٠.

(١٠) الخولي، **معجم علم اللغة النظري**، ص٨٨.

(١١) أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ص١٩٦.

ويُعْمَدُ إلى (التَّلطف) في موقفين: أحدهما: موقف أُحادي، إذ يعمد صاحب الرسالة الكلامية – في موقف خاص – إلى استعمال التلطف في موقف غير مرتبط بعرف اجتماعي، بل اعتمادًا على سرعة بديهة المُتكلم وفطنته، وهو ما أسمَاه علماء اللغة بـ (التخلص من الكذب بالتورية عنه)[١]، ومن أمثلة ذلك أنّ الربيع قال للخليفة المنصور ردّا على سؤاله عن اسم شجرة بأنّ اسمها شجرة الوفاق، بالرغم من أنّ اسمها شجرة الخلاف[٢].

والموقف الآخر: هو موقف جماعي عائد إلى تواضع الجماعة اللغوية على ذلك[٣]، فالعرف الاجتماعي يخضع الجماعة لاستعمال مُعين ترسمه الدوافع النفسية أو العاطفية أو السياسية أو الدينية من باب التأدب أو الخوف أو التفاؤل أو التشاؤم، وهذا الأمر حدا باللغويين إلى التأليف بهذه الظاهرة، فيقول الثعالبيّ عن كتابه الكناية والتعريض: "هذا كتاب خفيف الحجم ثقيل الوزن صغير الجرم كثير الغُنْم في الكنايات عما يستهجن ذكره، ويستقبح نشره، أو يستحيا من تسميته. . . "[٤].

ويعتقد أولمان أنّ الدوافع إلى (التلطف) هي دوافع نفسية، وأنّ المتكلم يعمد إلى استعمال هذا الأسلوب مع كلّ شيء مقدس أو ذي خطر، أو مُثير للرعب والخوف، كما يطبقه على الأشياء الشائنة، أو غير المقبولة لدى النفس [٥].

ومن الممكن إجمال دوافع التلطف في ثلاثة أمورٍ:

أولاً: الكياسة والتأدب والاحتشام: يكثر في مجال علاقة الرجل بالمرأة، وما يتصل بها من أحوال وظروف وأفعال، فالمُتكلم يَعدِل في كثير من الأحايين عن وصف علاقة الرجل بالمرأة من الكلام الفاحش المُنفّر إلى الكلام اللطيف المُستحب [٦].

ثانياً: التفاؤل والتشاؤم: يكثر في المجالات التي يظهر فيها الضعف الإنساني، كالموت والمرض، فيلجأ المتكلم إلى تلك الألفاظ؛ فرارا من خوف وألَمٍ يُصِيبَانِ النفسَ، وقد عبّر الأصفهاني

(١) الراجحي، عبد الله، **التلطف في الأساليب العربية**،
http://www.al-edu.com/wp-content/uploads/2013/12/60.pdf

(٢) الثعالبي، أبو منصور، **الكناية والتعريض**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤، ص٧١.

(3) Lyons, **Language and Linguistics**, New York, 1981, P.151.

(٤) الثعالبي، **الكناية والتعريض**، ص٣.

(٥) أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ص١٩٦.

(٦) أحمد مختار عمر، **دلالة الألفاظ**، ص١٤٢.

(ت٣٦٠ هـ) عن تعدُّد مسميات بعض الألفاظ الدالة على ذلك قائلا: "إنّ تكاثر أسماء الدواهي من إحدى الدواهي"(١).

ثالثاً: التبجيل والتعظيم: يكثُر هذا الدافع في مجال الهيبة والاحترام والوَلَهِ، ومن أمثلته إطلاق لفظ الأب على العم، وإطلاق لفظ الأم على الخالة (٢)، ومن ذلك إطلاق ستين اسما للفظ الحب(٣).

وللتلطف وظيفتان(٤): إيجابية وسلبية، فالوظيفة الإيجابية تتمثل بستر المُستقبح في المجتمع؛ كقولنا: (نام مع) بدلا من (مارس الجنس)، وتخفيف وطأة الحقائق المُوجعة، كقولنا: (استراح) بدلا من (مات)، وتجنب المخاوف كالحروب، كقولنا: (تحرير) بدلا من (غزو)، والارتقاء بالذائقة، كقولنا: (التغشي) للدَّلالة على (الجماع)، والإعلاء من شأن الفرد، كقولنا: (عامل وطن) بدلا من (عامل نظافة).

وأمّا الوظيفة السلبية، فتتمثل بالخداع السياسي والتجاري، وستر الجرائم السياسية والعسكرية والتضليل والتشويش، ولذلك قيل إنّ التلطف " أسلوب نبيل يراد به الخداع"(٥)، ومن أمثلته: (حَمَلات البحث والتطهير) بدلا من (حملات البحث والتدمير)، و(تحرير العراق) بدلا من (غزو العراق) (٦).

تنحو وظيفة التلطف إلى أسلوبين (٧): التضخيم (amplifying)، فيقوم المتكلم بتزيين المُلَطّف، وجعله أضخم وأكثر احتراما، إذ يُحَوَّل الوضيع إلى شريف (رقي الدلالة) والقليل إلى كثير (توسيع الدلالة)، فمثلا يطلق على المساجين (النزلاء)، وعلى السجون (مراكز إصلاح).

وأمّا الأسلوب الآخر فهو التصغير (minifying)، فيعمد المتكلم من خلاله إلى التقليل من النفور والاشمئزاز والخوف والرعب، ومن أمثلته تحَوّل (الكسيح) إلى (مُعاق)، ثمّ تحَوّل (المُعاق) إلى (ذوي الاحتياجات الخاصة) (٨).

---

(١) الأصفهاني، حمزة، **التنبيه على حدوث التصحيف**، تحقيق: محمد حسن، ط١، المعارف، بغداد، ١٩٦٧، ص١٣٢.

(٢) الثعالبي، **فقه اللغة وسر العربية**، ص٣٦٧.

(٣) ابن قيم الجوزية، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، دار الباز، مكة، السعودية، ص١٦.

(٤) أبو خضر، سعيد، **أثر التلطف في التطور المصطلحي**، المجلة العربية للعلوم، العدد ١١٢\ ٢٨، ٢٠١٠.

(٥) أبو خضر، سعيد، **أثر التلطف في التطور المصطلحي**، ص٨.

(6)Feldman.L (2003). **Euphemisms on the Euphrates: A Military Euphemism for murder**, APRIL 16.WWW.ZMAG.ORG,02\04\1428.

(٧) أبو خضر، سعيد، **أثر التلطف في التطور المصطلحي**، ص٨.

(8)Slovenko, R. (2005). "**Commentary Euphemisms" The Journal of Psychiatry and Law**, Federal Legal Publications, inc, 33. P534.

ويرى الباحثان أنّ المتكلم يعمد إلى التلطف بأساليب شتّى، لكنَّ أكثر الأساليب استعمالا – من حيث كثرة شواهدهما – هما:

أولاً: الأسلوب المجازي: يُعدّ المجاز من أذكى الوسائل التي يتكأ عليها المُتكلم للتعبير عن المعاني غير المُلطفة بألفاظ مُلطفة، عبر استعمال الكناية أو التورية، وفي ذلك قال الجرجاني (ت ٤٨٢هـ): "واعلم أنّ الأصل في الكنايات عبارة الإنسان عن الأفعال التي تستر عن العيون عادة من نحو قضاء الحاجة والجماع بألفاظ تدلّ عليها غير موضوعة لها، تنزلها عن إيرادها على جهتها وتحرزًا عما وضع لأجلها، إذ الحاجة إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر أفعالها، فالكناية عنها حِرْزٌ لمعانيها"(١).

وقد تطرق فندريس (Vendryes) إلى هذا الأسلوب قائلا:" والكناية ليست إلا صورة مُهذبة متحضرة مما يسمى تحريم المفردات، فكثيرا ما يقع لدى المتكلمين أنْ يكون لبعض الألفاظ طابع السرّية والخفاء فيمنع الأفراد من استعمالها"(٢).

ومن الأمثلة على استعمال المجاز للوصول إلى التلطف استعمال الكناية للتعبير عن (الفَرْج)، فقال التوحيدي (ت ٤٠٠هـ): "جرى بين يديه أسماء الفرج وكثرتها، فقال بعض الحاضرين: ماذا أرادت العرب بتكثيرها مع قبحها؟ فقال: لما رأوا الشيء قبيحا جعلوا يكنون عنه"(٣).

ثانياً: أسلوب التحريف الصوتي: يلجأ المُتكلم إلى تغيير صوامت الكلمة؛ للتخفيف مما تختزله الكلمة من استهجان وقُبح وخوف، وفي ذلك قال فندريس: "لا ينحصر الأثر الناجم من تحريم المفردات في استبدال كلمة مكان كلمة فحسب، بل تعداه أيضا إلى تشويه الكلمات الموجودة، فتغيير حرف من الكلمة أو نقله يخفف ما تنطوي عليه من الخطر"(٤).

وقد اشترط اللغويون العرب تقاربًا صوتياً بين الأصوات التي يحدث فيها تغيير، وذلك بأنْ "يُبدل الحرف مع أخيه ويكون معه في قافية واحدة" (٥)، وإذا ما حدث التغيير دون وجود هذه العلاقة فيكون الأمر محل خلاف.

---

(١) الجرجاني، **المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء**، ص٥-٦.

(٢) فندريس، **اللغة**، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو، ١٩٥٠، ص٢٨١.

(٣) التوحيدي، أبو حيان، **مثالب الوزيرين الصحاب بن عباد وابن العميد**، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ١٩٦١، ص٢٥٤.

(٤) فندريس، **اللغة**، ص٢٨٢.

(٥) الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد نجاتي، مصر، ١٩٧٢، ج١، ص١٩٧، وابن جني، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥، ج١، ص١٨٠.

غير أنّ بعض الباحثين يرَونَ أنَّ التطور اللغوي للمفردات لا يكون تغيرًا اعتباطياً، فتغيير (الهاء) (همزةً) و(الظاء) (ثاءً) و(الميم) (نونًا) و(الطاء) (تاءً) يجري ضمن معايير صوتية دقيقة تعتمد على قرب المخرج أو الصفة، ولكن إبدال (الضاد) (ميما) و (الثاء) (حاءً) لا يجري ضمن تلكم المعايير، وهنا لا بدّ من وجود ضابط دقيق عَلِيّ يحكمها يعتمد على البراغماتية اللغوية القائمة على أثر التفاعل الخطابي في موقف الخطاب، وهذا ما أطلق عليه آمنة الزعبي ويحيى عبابنة مصطلح (المحمول على الإبدال) [١] ، فقالا: "إنّ الصفات الصوتية، كأيّ مكون من مكونات اللغة، عرضة للتغيير والتبديل وفقا لما تقتضيه المصلحة اللغوية، من منطلق أنّ اللغة كائن براغماتي أو مؤسسة براغماتية، وهذا يدفع باللغة إلى فقدان أصوات بعينها، وإلى توليد أصوات جديدة لم تكن من مكونات النظام الصوتي للغة قبل تدخل هذه القوانين التي نتحدث عنها"[٢]، وتوصلا إلى أنّ هذا التحول في هذه الألفاظ مرده الاتفاق الاعتباطي في المكونات الصوتية للجذور الصامتية أو الإتباع الإيقاعي أو التصحيف والتحريف[٣].

ويتفق الباحثان إلى حد كبير مع ما جاء به الزعبي والعبابنة، إلا أنّهما يريان أنّ العوامل الاجتماعية المرافقة للحدث الكلامي – المُكون من ألفاظ أساسها صوامت وصوائت – قد أسهمت في بعض ألفاظه بإحلال صوت مكان آخر، أو الانتقال من جذر لآخر، ذلك أنَّ العربي يُكنِّي بلفظٍ ما عن دلالة معينة، ولكن في حال ابتذال تلك الكناية واستقباحها، يقوم – مُضطرا تحت وطأة الاستقباح – بتغيير أحد أصوات اللفظ الثاني بصوت قريب المخرج والصفة أو غير قريب؛ مُكَوِّنا بذلك كلمة جديدة؛ ليُكَنّي بها عن المعنى الأصلي، أو أن يجنح إلى الاستغناء عن الكناية في لفظ ما واستحداث كناية من لفظة أخرى؛ لاتفاق جذريهما في صامتين، ولذلك قال الجرجاني: "فمن فوائده التحرز عن ذكر الفواحش السخيفة بالكنايات اللطيفة، وإبدال ما يفحش ذكره في الأسماع بما تنبو عنه الطباع. ومنها ترك اللفظ المُتطير به إلى ما هو أجمل منه"[٤]. وقال الأصفهاني (ت٣٦٠ هـ): "إنّ تكرر

(١) يقصد بهذا المصطلح عند الزعبي والعبابنة كل كلمة حصل فيها إبدال مخالف للشروط التي ارتضاها العلماء لوقوع الإبدال اللغوي.

(٢) الزعبي، أمنة، عبابنة، يحيى، **المحمول على التغير الاتفاقي في كتب الإبدال اللغوي دراسة تحليلية**، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، ج١٩، ع ٤٠، ١٤٢٨، ص٤٩٢.

(٣) الزعبي، أمنة، عبابنة، يحيى، **المحمول على التغير الاتفاقي في كتب الإبدال اللغوي دراسة تحليلية**، ص ٥٢٦.

(٤) الجرجاني، **المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء**، ص٤.

أسماء الدواهي إحدى الدواهي" [١]. وقال ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) في لفظة الكنيف التي يعيبها في الشعر:" ومثل هذا قول عروة ابن الورد العبسي:

قلت لقوم في الكنيف تروّحوا عشية بتنـــا عند ماوانَ رُزّحُ

والكنيف أصله الساتر. ومنه قيل للترس: كنيف. غير أنّه قد استعمل في الآبار التي تستر الحدث وشهر بها، فأنا أكرهه في شعر عروة"[٢] .

فالألفاظ حين يمجُّها المجتمع، ويعافها الذوق، تكون عرضة للتحريف، مثل الألفاظ التي تشير إلى التبول والتبرز، والعملية الجنسية، يقول فندريس: "والأسباب الاجتماعية واضحة جدا في تغيير الكلمات مراعاة للياقة، إذ ليس من اللائق أنْ يُتَكَلَّمَ في أحد المجتمعات عن أفعال معروفة بالفظاظة، أو بأنّها مما يجرح الحياء ... فالتعبير عن هذه الأفعال عبارات متنوعة تبقى مستعملة حتى تصير بدورها خشنة وجارحة للأذن ... والذي يقطع بكون الكلمة لائقة أو غير لائقة إنّما هو العرف واللفظ ذاته. لأنّ استعارة كلمة من الخارج تخفف من افتضاح الشيء الذي يعبر بها عنه، فهي تلعب دور الكناية"[٣]، ويقول عمر فروخ: "فكان العربي – مثلا – يُكَنِّي عن المدرك الجنسي بلفظ مألوف عموما قليل الدلالة على ما قصد به إلا بين المتخاطبين؛ فإذا اشتهر هذا اللفظ ودلّ على ما كان يُكنى عنه صراحة استحيا العربي من الاستمرار في استعماله، فانتقل إلى كناية جديدة غامضة على غير المتخاطبين"[٤].

كما تحدث فندريس عن كثرة دوران الكلمة في الحديث وأثره في التطور اللغوي قائلا: "نُلاحظ أنّ معنى الكلمة يزيد تعرضّا للتغيير كلما زاد استعمالها، وكثر ورودها في نصوص مختلفة، لأنّ الذهن في الواقع يوجه كل مرة في اتجاهات جديدة، وذلك يوحي إليها بخلق معان جديدة ... وإنّ الانحدار الذي يصيب الكلمات، ليعكس بطريقة ملموسة إمّا الاحتقار الذي تكنه الطبقات الاجتماعية بعضها لبعض، وإمّا البغض المتبادل بين الأوطان والأجناس، وإمّا التعصب الأعمى من جانب الجماهير" [٥].

(١) الأصفهاني، **التنبيه على حدوث التصحيف**، ص ١٣٢.

(٢) الخفاجي، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢، ص٨٥.

(٣) فندريس، **اللغة**، ص٢٨٠.

(٤) فروخ، عمر، **عبقرية اللغة العربية**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص٥٧– ٥٩.

(٥) فندريس، **اللغة**، ص٢٥٣–٢٦٦.

وعلّق رمضان عبد التواب على هذا العامل في التطور اللغوي قائلا: "ومن عوامل التطور الدلالي كذلك عامل الابتذال الذي يصيب الألفاظ في كل لغة، لظروف سياسية أو اجتماعية أو عاطفية" (١).

وقد يظن ظانّ أنّ تغيير أصوات بأصوات أخرى في الألفاظ المستقبحة يوضع تحت باب اللهجات المتعددة، ولكننا لسنا مع هذا الطرح بمجمله(٢)، فالمتتبع لهذه الألفاظ – التي تغيرت أصواتها كراهة المستقبح – في المعاجم العربية والمصادر التي اختصت باللهجات يجد أنّ أغلبها من الألفاظ الفصيحة المألوفة، وليس فيها شيء من الغريب الذي تتسم به لهجات القبائل، فضلا عن أنّ هذه الألفاظ ألفاظ عامة وردت عند أغلب قبائل العرب، فهي ليست مختصة بأصقاع وجماعات معينة.

بناء على كل ما تقدّم نظريا، يسعى البحث عمليا إلى رصد مجموعة من الشَوَاهِدِ اللغوية التي انتابها تحريف صوتي في بنيتها بالرجوع إلى المعاجم اللغوية خاصة والكتب اللغوية عامة، وبخاصة تلك الشواهد التي كان (التلطف) دافعا رئيسا في تحريف بنيتها.

أولا: ألفاظ العلاقة الزوجية وما يرافقها.

- **الألفاظ الدالة على الجماع:**

١. (متن) و (مخن):

"مَتَن الرجل امرأته يَمْتنها متنا، ومَخَنَها يمخنها مخنا: إذا جامعها"(٣).

كلمة (المَخْن) مشتقة من الجذر (مخن)، ويدلّ على "النزع من البئر"(٤)؛ أي الخضخضة (التحريك)، ثمّ كُنِّيَ به عن النكاح؛ لأنّ من متطلبات الجماع التحريك والنزع، يقول ابن سيده (ت٣٥٨هـ) نقلا عن قطْرُب: "مَخَن المرأةَ مَخْناً – نَكَحها"(٥)، ويقول الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ): "المَخْن: النِّكاح الشَّديد" (٦). أمَّا (المَتْن) فمادته اللغوية تدلّ – في الأصل – على الصلابة والقوة، وفي ذلك

(١) عبد التواب، رمضان، **التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه**، ص١٩٥.

(٢) لقد رجع الباحثان إلى الكتب المختصة باللهجات في تحليل الإبدال في الألفاظ للتأكد من أن الإبدال كان لهجة أم لا، ومن هذه الكتب: رابين، **اللهجات العربية الغربية**، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦، إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربية**، ط٤، الأنجلو، مصر، ١٩٩٥. العبيدي، عبد الجبار، **الإبدال في اللهجات وأثر الصوت فيه**، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، ع٣، ٢٠١٠.

(٣) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، تحقيق: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١، ج١، ص٩٨.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص٤٠٢.

(٥) ابن سيده، أبو الحسن علي، **المخصص**، تحقيق: خليل جفال، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٦، ج١، ص٤٩٩.

(٦) الزبيدي، محمد بن محمد، **تاج العروس**، مجموعة محققين، دار الهداية، ١٩٩٨، ج٣٦، ص ١٥٥.

يقول ابن فارس: "الميم والتاء والنون أصل صحيح واحد يدلّ على صلابة في الشيء مع امتداد وطول. منه المتن: ما صلب من الأرض وارتفع" [١]. ثمّ تطورت دلالتها مجازا إلى الجماع، يقول كُرَاع النمل (ت ٣٠٩ هـ): "ويقال: مَتَنَ الرَّجُلُ المرأةَ يَمْتُنُها مَتْنًا: نَكَحَهَا" [٢].

إذا، (المَخْن) في الأصل اللغوي عند العرب الجماع الشديد، ولمّا كَثُرتْ هذه الكلمة عندهم واسْتُقْبِحَتْ، استغنَوا عن المادة اللغوية (مخن)، وحرفوا صوت الخاء تاء، واستعملوا تداوليا (متن)؛ لاستحداث كناية جديدة تدل على الجماع الشديد تلطفا ولباقة.

٢. (مصت) و(مصد):

"والمصت: مثل المصد سَوَاء مصت الرجل الْمَرْأَة ومصدها إِذا جَامعهَا. "[٣].

إنّ الأصل في (مصد) "ضربٌ من الرضاع"[٤]، ثمّ تطورت دلالتها إلى دلالة أخرى، وهي:" ومَصْدُ الريقِ: مَصُّه[٥]، ونجدها بعد ذلك تدلّ على: "مَصَد الفم مَصد مصةً عند قُبلةٍ" [٦]، ولأنّ ذلك من مقدمات الجماع، أصبح يكنى بها عنه، يقول ابن منظور(ت ٧١١ هـ): يُقَالُ: مَصَد الرَّجُلُ جَارَيْتَهُ وعَصَدها إِذا نَكَحَهَا، وأَنشد:

فَأَبِيتُ أَعْتَنِقُ الثُّغُورَ وأَتَّقِي عَنْ مَصْدِها، وشِفاؤُها المَصْدُ[٧].

أمّا كلمة (مصت)، فيقول الخليل (ت١٧٠هـ) فيها: "المصت لغةٌ في المَسْط، فإذا جعلوا مكان السين صادا جعلوا مكان (الطاء) (تاء)، وهو أن يدخل يده فيقبض على الرحم، فيمسطها مسطا، ويمصت (ما فيها مصتا)"[٨]. ثمّ تطورت دلالتها، وأصبح يُكنى بها عن (الجماع)، وفي ذلك يقول ابن دريد (ت٣٢١هـ): "المصت: مثل المصد سَوَاء مصت الرجل الْمَرْأَة ومصدها إِذا جَامعهَا"[٩].

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٥، ص٢٩٤.

(٢) كراع النمل، **المنجد في اللغة**، تحقيق: أحمد مختار عمر، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨، ص٤٣.

(٣) ابن دريد، محمد، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧، ج١، ص٤٠١.

(٤) الحميري، نشوان بن سعيد، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: حسين العمري ومطهر الأرياني ويوسف محمد، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩، ج٩، ص٦٣١٧.

(٥) الحميري، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، ج٩، ص٦٣١٧.

(٦) ابن القطاع، علي بن جعفر، **كتاب الأفعال**، ط١، عالم الكتب، ١٩٨٣، ج٣، ص١٨٠.

(٧) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٤٠٤.

(٨) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الهلال، ١٩٩٨، ج٧، ص ١٠٧، وابن القطاع، **كتاب الأفعال**، ج٣، ص١٨١.

(٩) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٤٠١، وابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٥، ص٣٢٨.

إنّ كلتا الكلمتين في أصلهما اللغوي لم تكونا دالَّتينِ على الجماع، وإنّما هما كنايتان عنه، والذي حدث أنّ العرب تحرَّجوا من استعمال (مصت)؛ نتيجة ابتذالها المؤدي إلى القُبح، فحرفوا التاء دالا؛ لاستحداث كناية لطيفة.

٣. (طعج) و (طعز):

"طعجَ الرجلُ امرأتَه يَطْعَجُها، وطَعَزَها يَطْعَزُها طَعْزًا: إذا جامعها"(١).

إنّ (الطعج) لغة الدفع، يقول ابن دريد:" الطعج: الدّفع"(٢)، ثمّ أصبح يُكنى بها عن الجماع، يقول ابن دريد: "وَأَكْثر مَا يسْتَعْمل فِي الْكِنَايَة عَن النِّكَاح يُقَال: طعجها يطعجها طعجا"(٣). أمّا كلمة (طعز)، فهي الأخرى تدلّ لغةً على الدفع، يقول الزبيدي: "الطعز أهمله الجوهري وهو الدفع"(٤)، ثمّ أصبح يُكنى بها عن الجماع، وفي ذلك يقول ابن منظور: "طعز: الطعز: كناية عن النكاح"(٥).

يظهر أنّ الكلمتين تدلان على معنى واحد في أصلهما اللغوي، وهو الدفع؛ ولأنّ الدفع من متطلبات الجماع كُنِّيَ بهما عنه، ويبدو أنّ العرب استعملوا إحداهما كناية عن الجماع بدايةً، فلمّا ابتذلت استغنوا عن أحدهما بتحريف أحد أصواتهما؛ لاستحداث كناية لطيفة.

٤. (جخجخ) و (زخزخ):

"جَخْجَخَ امرأته وزَخْزَخَها، كل ذلك يُكنى به عن الجماع"(٦).

إنّ لفظة (جخجخ) تدلّ على الكثير من المعاني، إذ تدلُّ على السـرّ، يقـول ابن القطاع (ت٥١٥ هـ): "وجخجخ الرجل إذا لم يُبد ما في نفسه" (٧)، كما تدلّ على الدخول ليلا، يقول الأزهري: "ويقال: بل جخجخ، بها أي أدخل بها في معظمها وسوادها الذي كأنه ليل، وقد تجخجخ: أي تراكب، واشتدت ظلمته"(٨)، وتدلّ على الاضطجاع والتمكن، يقول الزبيدي: "وتجخجخ، إذا اضطجع وتمكن

(١) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص٢٢٤.
(٢) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ٤٨١، وابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص ٣١٧.
(٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٤٨١.
(٤) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٥، ص١٩٧.
(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٣٦٩.
(٦) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص٢٢٤.
(٧) ابن القطاع، **كتاب الأفعال**، ج١، ص١٩٤.
(٨) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٦، ص٢٨٨.

و(استرخى)"[١]، ولأنّ (السرّ) و(الدخول) و(الاضطجاع والتمكن) من مستلزمات الجماع – وهذه المعاني تجمعها (جخجخ) – أصبح يُكنى بها عن الجماع، يقول ابن القطاع:" والجخجخة أيضا من أسماء الجماع يقال جخها وجخجخها"[٢].

وأمّا كلمة (زخزخ) فالمادة اللغوية المشتقة منها (زخّ) تدلّ على الدفع، فيقال: "زخه يزخه زخا: دفعه في وهدة"[٣]، ولأنّ الدفع من متطلبات الجماع أصبح يُكني بزخزخ عنه[٤]، يقول ابن سيده (ت٤٥٨ هـ): "وزخ في قفاه يزخ زخا: دفع، وقال ابن دريد: كل دفع زخ. وزخ المرأة يزخها زخا، وزخزخها: نكحها، وهو من ذلك، لأنّه دفع"[٥].

ويتضح لنا أنّ كلتا الكلمتين في أصلهما اللغوي لم تكونا دالتين على (الجماع)، وإنّما هما كنايتان عنه، وما حدث يكمن في أنّ العرب كانت تستعمل في بداية الأمر إحداهما كناية عن الجماع فلما ابتذلت وأصبحت مستقبحة، استغنوا عن أحدهما، بتحريف أحد أصواتهما؛ لاستحداث كناية لطيفة لَبِقَة.

٥. طعج) و (طعس):

"طَعَجَ الرجل امرأته طَعْجَا، وطَعَسَها يطعسها طَعْسَا: إذا جامعها " [٦].

لقد أبنّا سابقا أنّ (الطعج) لغة الدّفع [٧]، ولأنّ الدفع من متطلبات الجماع أصبح يُكنى به [٨]، وأمّا كلمة (طعس) فلم نجد ما يدلّ على دلالتها الأصلية، فهي مُهملة عند كثير من أصحاب المعاجم، ومن ذكرها، فإنّه ذكرها على باب الكناية عن (الجماع) [٩]، وقد قيل بأنّها لغة من (طحس)، وأمّا (الطعس) هو الجماع [١٠]، يقول الأزهري: "طعس الجارية، كمنع: جامعها، أهمله الجوهري، وأورده الصاغاني وابن القطاع، كأنّه لغة في طحس، بالحاء"[١١].

(١) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج٧، ص٢٤٢.

(٢) ابن القطاع، **كتاب الأفعال**، ج١، ص١٩٤.

(٣) ابن سيده، أبو الحسن علي، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ج٤، ص٥٠١.

(٤) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص١٨٩.

(٥) ابن سيده، **المحكم والمحيط**، ج٤، ص٥٠١.

(٦) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص٢٢٥.

(٧) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٤٨١، وابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٣١٧.

(٨) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٤٨١.

(٩) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص١٢٤.

(١٠) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٥٣١.

(١١) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٦، ص٢٠٠.

يبدو أنّ العرب كانت تستعمل بداية (الطعج) كناية عن الجماع، فلما ابتذلت هذه الكلمة وأصبحت مستهجنة مستقبحة في المجتمع استغنَوا عن المادة اللغوية (طعج)، وحرفوا الجيم سينا واستعملوا تداوليا (طعس)؛ لاستنباط كناية لطيفة لبقة، وما أسعفنا في تحديد الكلمة الأصلية هو عدم وجود دلالة أصلية لـ(طعس)، فما ورد في المعاجم عنها يشير إلى أنّها من الكنايات الدالة على الجماع.

٦. (مخج) و (مخن):

"مَخَجَ الرجل امرأته يَمْخجُها مَخْجًا، ومَخَنَها يَمْخَنُها مَخْنًا: إذا جامعها "[١].

ذكرنا سابقا أنّ (المخن) عند العرب (النكاح) فـ " مَخَن المرأةَ مَخْناً – نَكَحها" [٢] و" المخن: النكاح الشديد؛ وقد مخنها مخنا"[٣]، وأمّا (مخج) فهو الجذب والترك، يقول الجوهري (ت ٣٩٣هـ) نقلا عن أبي الحسن اللحياني: "مَخَجْتُ الدَلْو، إذا جَذَبت بها ونَهَزْتَها حتى تمتلئ"[٤]، ويقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "الميم والخاء والجيم كلمة واحدة. يقولون: مخج البئر، إذا خضخضها، ويقال: يزيدها مخج الدلا جموما"[٥]. ولعل تشابه عملية رمي الدلو بالبئر بالجماع [٦] جعلهم يكنون بـ (مخج) عنه، ويقول ابن فارس: "ويكنون به عن البضاع، فيقال: مخجها. [٧]، ويقول ابن دريد:" والمخج: النِّكَاح"[٨].

يظهر أنّ العرب عبَّرت عن الجماع بـ (مخن) فلمّا اشتهرت هذه الكلمة وأصبحت من الألفاظ المستقبحة، استغنوا عنها، وحرفوا أحد أصواتها، واستعملوا (مخج)؛ لابتداع كناية لطيفة.

٧. (دعز) و (طعز):

"وربَّمَا كُني بِهِ عَن النِّكَاح دَعزَ المَرْأة يَدْعَزُها دَعْزاً والطَّعْز كالدَّعْز الَّذِي هُوَ الدَّفْع"[٩].

(١) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص٣٦٢.

(٢) ابن سيده، **المخصص**، ج١، ص٤٩٩.

(٣) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج٣٦، ص١٥٥.

(٤) الجوهري، أبو نصر إسماعيل، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨، ج١، ص٣٤٠.

(٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٥، ص٣٠٥.

(٦) انظر قول الرسول صلى الله عليه وسلم في تشبيه عملية الزنا: " قال: كما يغيب المرود في المكحلة، والرشاء في البئر" الرشاء: الحبل النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد(٣٠٣هـ) **السنن الكبرى**، حققه: حسن عبد المنعم، الرسالة، بيروت، ٢٠٠١، ج٦، ص٤١٥. الهروي، علي بن سلطان(ت١٠١٤هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر، لبنان، ٢٠٠٢، ج٦، ص٢٣٣٤.

(٧) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٥، ص٣٠٥.

(٨) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٤٤٥.

(٩) ابن سيده، **المخصص**، ج٢، ص٦٦.

ذكرنا سابقا أنّ الفعل (طعز) يدلّ – لُغَةً – على الدفع، فـ "الطعز، كالمنع، أهمله الجوهري وهو الدفع"[١]، ثمّ أصبح "كناية عن النكاح"[٢]. وأمّا (دعز) فهو الآخر يدلّ على الدفع، يقول ابن فارس: "دعز: الدعزُ (بالزاي): الدفع" [٣]، ولأنّ الدفع من مستلزمات الجماع كُني به عنه، يقول ابن فارس: "وربما كني به عن النكاح"[٤].

تدلّ الكلمتان على معنى واحد في أصلهما اللغوي، وهو الدفع؛ ولأنّ الدفع من مستلزمات الجماع، كُني بهما عنه، وعندنا أنّ العرب ابتدأوا باستعمال إحداهما، فلمّا انتشرت الكلمة وأصبحت مستقبحة، انتقلوا إلى الثانية هربا إلى التلطف، وذلك بتحريف صوت (الدال) (طاء) أو (الطاء) (دالا)؛ لتكوين كناية لطيفة.

٨. **(رطأ) و (شطأ):**

"شطأ جاريته، ورطأها ونطأها، إذا نكحها" [٥].

إنّ الجذر (رطأ) في المعاجم اللغوية يدلّ على الحمق، ولا علاقة بين الحمق والجماع، ولكنّ الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ذكر معنى لطيفا إذ قال: "رطأ هُوَ الدّهن بِالْمَاءِ كَأَنَّهُ سمي بذلك لِأَنّ الدّهن يَعْلُو المَاء ويركبه من قَوْلهم: رطأت الْقَوْم إِذا ركبتهم بِمَا لَا يحبون"[٦]. ثمّ تحولت دلالة (الرطأ) من الركوب إلى (الجماع)[٧]، يقول ابن سيده: "رطأ المرأة يرطؤها رطا: نكحها"[٨]، ويقول ابن القطاع: "رَطأ: و"رَطأ" المرأةَ جَامعَها". [٩]، وأمّا الجذر (شطأ) فدلالته الأصلية (الجانب)، وعبّر ابن فارس عن ذلك قائلا: "الشين والطاء والهمزة فيه كلمتان: إحداهما الشطء شطء النبات، وهو ما خرج من حول

(١) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٥، ص١٩٧.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٣٦٩.

(٣) ابن فارس، أحمد، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن، ط٢، الرسالة، بيروت، ١٩٨٦، ج١، ص٣٢٨، وابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج٢، ص٦٤٢.

(٤) ابن فارس، **مجمل اللغة**، ج١، ص٣٢٨.

(٥) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١١، ص٢٦٩.

(٦) الزمخشري، أبو القاسم محمود، **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ج٢، ص٦٥.

(٧) وجه المقاربة يفسره قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن إتيان المرأة من دبرها: فَقَالَ: " أَمَّا فِي دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا فَنَعَمْ، فَأَمَّا فِي دُبُرِهَا فَلَا، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ" أي جواز الإتيان من الدبر في مكان الحرث انظر: ابن أبي العاصم، أحمد بن عمرو (ت ٢٨٧هـ)، **الآحاد والمثاني**، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٩٩١، ج٤، ص١١٦.

(٨) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٩، ص٢٠٥.

(٩) ابن القطاع، **كتاب الأفعال**، ج٢، ص٦١.

الأصل ... والأصل شاطئ الوادي: جانبه"[١]. ثمّ تطورت دلالته ليدلّ على الجماع، يقول الأزهري:" وقال أبو زيد: شطأ جاريته، ورطأها ونطأها، إذا نكحها"[٢].

من المؤكد أنّ كلتا الكلمتين – في أصلهما اللغوي – لا تدلان على الجماع، ولكن تطورت دلالة إحداهما لتدلّ عليه، ثمّ بعد أن ابتذلت وأصبحت مستقبحة ثم تغُوفِل عن الأولى في الاستعمال اللغوي بتحريف أحد أصواتها، واستعملوا الثانية تلطفا ولباقة.

٩. (رطأ) و (فطأ):

"رَطَأتُ المرأة أرْطؤهَا رَطْأ، وفَطَأتُها أفطؤها فَطْأ: إذا جامعتها" [٣].

قلنا سابقا أنّ الجذر (رطأ) يدلّ على الركوب[٤]. ثمّ تحولت دلالته إلى (الجماع)، فيقال: "رطأ المرأة يرطؤها رطا: نكحها"[٥]، وأمّا الجذر (فطأ) فإنّ له أكثر من دلالة، فمن دلالته (الضرب)، يقول الجوهري: "فَطَأَهُ: ضربه على ظهره، مثل حطَأَهُ" [٦]، و(الحمل)، يقول ابن دريد: وفَطَأتُ ظهرَ الدابّة وفَطَوْتُه، إذا حملتَ عَلَيْهِ حملا ثقيلاً. وَرُبمَا كُني بالفَطْأ عَن النِّكَاح فَقَالُوا: فَطَأها يفطَؤها فَطْأً" [٧]، ثمّ تحولت دلالته إلى الجماع، يقول ابن سيده: "وفطأ المرأة يفطؤها فطأ: نكحها"[٨].

يظهر أنّ دلالة الكلمتين (رطأ) و (فطأ) متقاربتان (الحمل والركوب)، ولكنّهما لا تدلان على الجماع حقيقة، غير أنّه قد استعملت إحداهما على سبيل الكناية، فلمّا أصبحت مبتذلة مستنكرة استغني عن أحدهما بتحريف أحد أصواتها، واستعملت الكلمة الجديدة؛ لاستحداث كناية لطيفة.

- **ما رافق العلاقة الجنسية:**

١. (خَبَقَ) و (خَقّ):

"امرأة خَبوق وخَقوق للتي يسمع لفرجها صوت عند الجماع؛ ويقال لذلك الصوت الخقّ والخبق، وقد خقّت تخق خقا، وخبقت تخبق خبقا"[٩].

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٣، ص١٨٥.
(٢) الأزهوي، **تهذيب اللغة**، ج١١، ص٢٦٩.
(٣) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج٢، ص٥٠.
(٤) الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، ج٢، ص٦٥.
(٥) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٩، ص٢٠٥.
(٦) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج١، ص٦٣.
(٧) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج٢، ص٩٢١.
(٨) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٩، ص٢٠٨.
(٩) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص٣٠.

إنّ المادة اللغوية (خقّ) تدلّ على أصل واحد وهو الصوت، فيكون صوت قُنب الدابة، يقول الخليل: "يقال لقنب الدابة إذا زعق: خق" [١]، ويكون صوت القدر إذا غلا، يقول ابن دريد: "خق الْقدر وَمَا أشبهه خقا وخقيقا إِذا غلا فَسمِعت لَهُ صَوتا"[٢]، ثمّ تطورت دلالة (خقّ) إلى صوت فرج المرأة عند الجماع، يقول ابن دريد:" وخق فرج الْمَرْأَة إِذا سمع لَهُ صَوت عِنْد الْجِمَاع. وَمِنْه امْرَأَة خقوق وخقاقة [٣]، وأمّا (خبق) فهي من ألفاظ العرب التي لم تنته إلينا، يقول ابن فارس: "فرس أَشَقُّ أمقُّ خِبَقٌ" ذهب هَذَا كله بذهاب أهله وَلَمْ يبق عندنا إِلاَّ الرسم الذي نراه"[٤] أي الفرس السريعة، ونجدهم يقولون: "رجل خبق، مثل هجف، أي: طويل"[٥]، وكذلك نجدها في المعاجم بصوت الفرج عند الجماع، يقول ابن دريد:" وَامْرَأَة خبوق: نعت مَذْمُوم وَهُوَ أَن يسمع لَهَا خبق عِنْد النِّكَاح أَي صَوت مِمَّا هُنَاكَ" [٦].

إنّ دلالة كلمة (خقّ) وكلمة (خبق) تشتركان في أمر واحد، فهما من متعلقات (الفرس)، فالخقّ صوت قنب الدابة، يقول الأزهري: "ولا يقال: قنب إلا للفرس"[٧]، والخبق: الفرس السريعة، غير أنّ دلالة (خقّ) تطورت إلى الصوت المرافق للجماع، فلمّا ابتذلت أصبحت مستنكرة، فاستغنَوا عن المادة اللغوية (خقق) بتحريف القاف باء، واستعملوا تداوليا (خبق)؛ لاستحداث كناية لطيفة.

٢. **(عِذيوط) و (عِضيوط):**

"رجل عِذْيوط وعِضيوط: وهو الذي إذا جامع أحدث"[٨].

إنّ كلمة (عذيوط) مشتقة من الجدر(عذط)، وعند الرجوع إلى المعاجم اللغوية، لم نجد له سوى دلالة واحدة، وهي الإحداث عند المجامعة، وعلى هذا فدلالته أصلية، يقول الثعالبي: "فإذا كانَ يُحْدِثُ

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٤، ص١٣١.

(٢) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص١٠٦.

(٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص١٠٦.

(٤) ابن فارس، أحمد، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، ط١، محمد علي بيضون، ١٩٩٧، ص٣٩.

(٥) السخاوي، علي بن محمد، **سفر السعادة وسفير الإفادة**، تحقيق: محمد الدالي، ط٢، دار صادر، ١٩٩٥، ج١، ص٢٤٦.

(٦) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٢٩٢.

(٧) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١٥، ص٩١.

(٨) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج٢، ص١٧.

عِنْدَ النِّكَاحِ فَهُوَ عِذْيَوْط"[١]، وقال السيرافي(ت٣٨٥هـ): "عذيوط" الذي يخرج من الغائط عند المجامعة" [٢]، وأمّا كلمة (عضيوط) فمشتقة من الجذر(عضط)، وهذا الجذر مهمل عند بعض أصحاب المعاجم، يقول الزبيدي: "عضط يعضط عضطا، أهمله الجوهري، وقال ابن دريد: أي أحدث عند الجماع، قال: ومنه قولهم: وهو عضيوط، كهليون، قال: وزعم الخليل أنه يتصرف بالضاد والذال جميعا، قال: ولم يصرفه أحد من أصحابنا غيره" [٣].

ويتضح لنا أنّ (عذيوط) الأصل كون جذرها اللغوي مستعملا عند أصحاب المعاجم، وقد تصرفت إلى أكثر من وجه، فضلا عن ورودها في الشعر، نحو:

إني بُليت بِعِذْيَوْطٍ بــه بَخَرٌ يكـــاد يقتل مَنْ ناجاه إن كشرا[٤]

غير أنّ انتشار هذه الكلمة جعل العرب تأنف من استعمالها، فاستغنَوا عن (عذيوط) بتحريف الذال ضادا، واستعملوا تداوليا (عِضيوط)؛ لاستحداث كناية لطيفة.

ثانيا: ألفاظ الصفات الجسدية

- **صفة القَصْر (اللئيم) و (الممتلئ):**

١. (جُعْبُوب) و (جعسوس) و (دعبوب):

"ويقال للرجل، إذا كان قصيرا دميما: جُعْبوب ودُعبوب وجُعْسوس: إذا كان قصيرا دميما" [٥].

إنّ (الجعبوب) مشتق من (جعب)، ومن جعب تشتق كلمة (الجُعَبَى) وهو نوع مِنَ النَّمْلِ، يقول ابن منظور: والجُعَبَى: ضَرْبٌ مِنَ النَّمْلِ. قَالَ اللَّيْثُ: هُوَ نَمْلٌ أَحمر، وَالْجَمْعُ جُعَبَياتٌ". [٦] ثمّ أصبح يُكنى به عن الرجال القصار، وذلك لضآلة حجم النمل، يقول ابن سيدة: "الجَعَابِيبُ القِصَار الْوَاحِد

(١) الثعالبي، **فقه اللغة وسر العربية**، ص١٠٩، والجوزي، جمال الدين، **تقويم اللسان**، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعارف، مصر، ط٢، ٢٠٠٦، ص١٤١، المالكي، حمد بن محمد، **فتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال**، تحقيق: إبراهيم البعيمي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ، ص٢٤٢.

(٢) السيرافي، أبو سعيد، **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨، ج٥، ص١٥٦.

(٣) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٩، ص٤٧٧.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٧، ص٣٤٩.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٢٦٧.

(٦) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٢٦٧.

جُعْبُوب"[١]، وأمّا كلمة (جعسوس)، فإنّها مشتقة من (جعس)، والجعس لغة الغائط، يقول ابن القطاع: "جَعَس جَعْساً أحدثَ"[٢]. ثمّ تطورت دلالتها لتدلّ على القصير اللئيم، يقول ابن منظور: وكأَنه اشْتُقَّ مِنَ الجَعْس، صِفَةٌ عَلَى فُعْلُول فَشَبَّهَ السَّاقِطَ المَهين مِنَ الرِّجَالِ بالخُرْءِ ونَتْنِه"[٣]، وأمّا (دعبوب) فهي مشتقة من الجذر (دعب)، ومنه الدعابة، وهي المزاح والفكاهة، ثمّ تطور دلالتها إلى الرجل القصير الدميم؛ لأنّه يثير ضحك الناس، يقول ابن منظور: "والدُّعْبوبُ: الضَّعيفُ الَّذِي يَهْزَأُ مِنْهُ الناسُ؛ وَقِيلَ: هُوَ القصيرُ الدَّمِيمُ"[٤].

ويتضح أنّ دلالات (جعبوب) و(جعسوس) و(دعبوب) لا تدلّ على صفتي القصر والدمامة مطلقا، ولكن كنى العرب بهن عن القصير الدميم، والذي يظهر أنّه كلما اشتهرت كناية من الكنايات التي تدلّ على القصر حرفوا أحد أصوات تلك الكلمة، واستحدثوا كناية لطيفة، وهنا يظهر أثر العوامل الاجتماعية المتمثلة بالكياسة والتلطف في ذلك.

٢. (الجعظاية) و (الدعظاية):

"**الجِعْظاية والدِّعظاية من الرجال: القصير**"[٥].

إنّ الجذر اللغوي لـ (الجعظاية) هو (جعظ)، ومنه اشتقت كلمة (الجعظ)، والجعظ لغة الضخم[٦]، وقد كني به عن الرجل القصير الممتلئ، يقول الأزهري: "وقال أبو زيد الأنصاري: الجعظاية: الرجل القصير اللحيم"[٧]. وأما كلمة (الدعظاية) فهي مشتقة من (دعظ)، فيقال: "دَعَظَ الرَّجل ذَكَرَهُ في المرأة دَعْظًا، ودَعْظَمَهُ دَعْظَمَةً: إذا أَوْعَبَهُ فيها، ويقال زَعَبَهَا زَعْبًا: إذا نكحها فملأ فرجها بفرجه، ولا يكون ذلك إلا من ضِخَمٍ"[٨] ، وقد كني بها عن الرجل القصير الممتلئ تشبيها بالعضو الذكري الضخم، يقول ابن منظور: "الدِّعظاية الْقَصِيرُ. . . وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ: الجِعْظايةُ بِهَذَا المعنى" [٩].

---

(١) ابن سيده، **المخصص**، ج١، ص١٨٦، وابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٢٦٧، وابن السكيت، يعقوب، **إصلاح المنطق**، تحقيق: محمد مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢، ص٢٨٧.

(٢) ابن القطاع، **كتاب الأفعال**، ج١، ص١٦٣.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص٣٩.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٣٧٦.

(٥) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص٢١٦.

(٦) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج٣، ص١١٧١، وابن منظور، **لسان العرب**، ج٧، ص٤٣٨.

(٧) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١، ص٢٢٦.

(٨) كراع النمل، علي بن الحسن، **المنتخب من غريب كلام العرب**، تحقيق: محمد العمري، ط١، جامعة أم القرى، ١٩٨٩، ج١، ص١٣٧.

(٩) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٧، ص٤٤٤.

ويتضح مما سبق أن كلتا الكلمتين تدلان على (الضخامة)، فكني بإحداهما عن الرجل القصير الممتلئ، فلما أصبحت الكناية مبتذلة مستقبحة في المجتمع، فاستغنوا عن أحدهما بتحريف أحد أصواتهما، واستعملوا الكلمة الجديدة تلطفا وحشمة.

- **ضآلة الجسم:**

١. (ضئيل) و (بئيل):

"ضئيل بيّن الضؤولة وبئيل بينّ البُؤولة، وهي النحافة، وقد يضؤل وبؤل يبؤل" [١].

إنّ (ضئيل) مشتقة من (ضأل)، ويفيد الضعف والدقة في الجسم، يقول ابن فارس: "الضاد والهمزة واللام أصيل يدلّ على ضعف ودقة في جسم. من ذلك الضئيل، وهو الضعيف. والفعل منه: ضؤل يضؤل. ورجل ضؤلة: ضعيف. والضئيلة: الحية الدقيقة"[٢]. وأمّا كلمة (بئيل) فمشتقة من (بأل)، وهو أصل مهمل عند بعض المعجميين، يقول الزبيدي: "البئيل، كأمير أهمله الجوهري" [٣]، وهو يدلّ على الدقّة والصغر[٤].

تدلّ الكلمتان على الضعف والدقة في الجسم، إلا أنّ (ضئيل) كانت في الأصل تدلّ على ذلك، ولكن لابتذالها واستقباح الوصف بها؛ استغنوا عن المادة اللغوية(ضأل) بتحريف الضاد باء، وجنحوا إلى (بأل).

ثالثا: ألفاظ الصفات المعنوية.

- **كثير الكلام:**

١. (مهذار) و(مهمار):

"ورجلٌ هَمَّارٌ ومِهْمارٌ ومِهْمَرٌ، أي مِهذار يَنْهَمِرُ بالكلام " [٥].

(١) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص١٤.

(٢) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٣، ص٣٨٤.

(٣) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج٢٨، ص٤٩.

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص٥٧١، والسيوطي، عبد الرحمن، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص٣٢٧.

(٥) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج٢، ص٨٥٥.

إنّ (المهذار) مشتقة من الجذر (هذر)، وهو يدلّ على الكلام الذي لا يُعْبَأ به، يقول الخليل: "الهذر: الكلام الذي لا يعبأ به. هذر في منطقه يهذر هذرا. ورجل هذار ومهذار"(١). ثمّ أصبح يُطلق على كثير الكلام(٢)، وأمّا (مهمار) فهي تدلّ على الصبّ، فنقول مطر مهمار(٣)، ثمّ أصبحت تطلق على كثير الكلام (٤).

ويتضح أنّ (مهذار) في الأصل تدلّ على الكلام الذي لا يعبأ به، ومجازا أطلقت على كثير الكلام، ولمّا كثر ذلك في كلام العرب، استغنوا عن (مهذار) بتحريف الذال ميما، واستعملوا (مهمار)؛ لاستحداث كناية جديدة تلطفا وكياسة.

- **الجبن:**

١. **(مجؤوف) و (مجؤوث):**

"رجل مَجْؤوف ومجؤوث: إذا كان جبانا منزوع الفؤاد" (٥).

إنّ (مجؤوف) لغة تدلّ على (الفزع)، يقول ابن فارس: "(جأف) الجيم والهمزة والفاء كلمة واحدة تدل على الفزع. وكأن الفاء بدل من الثاء"(٦)، وتدلّ (مجؤوث) على (الفزع)، يقول ابن فارس:

"(جأث) الجيم والهمزة والثاء كلمة واحدة تدلّ على الفزع" (٧).

ويتبين لنا أنّ العرب كانت تُكني الجبان بإحدى الكلمتين، ولمّا أصبحت مستقبحة في المجتمع، استغنوا عن أحدهما بتحريف أحد أصواتهما، واستعملوا الأخرى؛ لاستحداث كناية لطيفة.

- **الكذب:**

١. **(الإفْتُ) و(الإفْكُ):**

" الإفتُ والإفكُ: الكذب"(٨).

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٤، ص٣٩.
(٢) القالي، أبو علي، **الإتباع**، تحقيق: كمال مصطفى، الخانجي، مصر، ص٧٧.
(٣) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٦، ص٦٥.
(٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٦، ص٦٥.
(٥) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص١٩٥.
(٦) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج١، ص٥٠٠.
(٧) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج١، ص٥٠٠.
(٨) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص١٣٩.

إنّ (الإفت) لغة تدل على "تكسير شيء ورفته. يقال: فتت الشيء أفت فتا، فهو مفتوت وفتيت. والفتة: ما يفت ويوضع تحت الزند. وفت في عضده، وذلك إذا أساء إليه، كأنه قد فت من عضده شيئا"(١). ثمّ أصبحت تُطلق على الكذب مجازا، فالكذب هو فتٌّ للحقيقة، وأمّا (الإفك) فهي تطلق حقيقة على الكذب، يقول ابن فارس: "(أفك) الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدلّ على قلب الشيء وصرفه عن جهته. يقال: أفك الشيء. وأفك الرجل: إذا كذب. والإفك الكذب" (٢).

ويتضح أنّ الأصل في التعبير عن الكذب هو استعمال (إفك) ولمّا كثرت في كلامهم، استغنوا عن (الإفك) بتحريف الكاف تاء، واستعملوا (الإفت)؛ لاستحداث كناية لطيفة.

- **الديوث:**

١. (خُنْذُع) و(وقُنْذُعٌ):

"الخُنْذُع: القليل الغيرة على أهله، وهو الديوث مثل القُنْذُع"(٣).

إنّ (القنذع) كلمة سُرْيانية، وتدلّ على الديوث، يقول ابن منظور: "قنذع: قَالَ فِي تَرْجَمَةِ قنذع: القُنْذُوعُ والقُنْذُعُ الدّيُّوثُ، سُرْيَانِيَّةٌ لَيْسَتْ بِعَرَبِيَّةٍ مَحْضَةٍ، وَقَدْ يُقَالُ بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ".(٤)، وأما كلمة (خنذع) فهي تعني دويبة أصغر من الجندب، يقول الأزهري: "خندع: وقال أبو الدقيش: الخندع بالخاء: أصغر من الجندب، حكاه ابن دريد" (٥).

تعني كلمة (قنذع) الديوث، ولمّا كثرت في كلامهم واستقبحت مع استقباح كلمة ديوث – عندهم – التي تدلّ على "القواد على أهله" (٦) استغنوا عن المادة اللغوية (قنذع) بتحريف القاف خاء، واستعملوا (خنذع)؛ لاستحداث كناية لطيفة غير مستقبحة.

- **التكبر**

١. (شُمَخز) و (ضُمَخز):

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٤، ص٤٣٦.

(٢) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج١، ص١١٨، والكفوي، أيوب بن موسى، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، الرسالة، بيروت، ص١٥٥.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٨، ص٨٠.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٨، ص٣٠٢.

(٥) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٣، ص١٧٦.

(٦) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١٤، ص١٠٧.

"يقال: رجل شُمّخز وضُمخّز: إذا كان متكبرا"[١].

إنّ لكلمتي (الشُمَخز) و(الضُمَخز) دلالة واحدة وهي الضخم من الإبل، يقول ابن فارس في (الشمخز): "الشمخز بضم الشين وكسرها وشد الميم، أهمله الجوهري، وقال الليث: هو الطامح النظر من الناس. . . قيل: الشمخز والضمخز: الضخم من الإبل والناس[٢]، وقال في (الضمخز): "الضمخز، بضم الضاد وكسرها، أهمله الجوهري وصاحب اللسان، وقال الليث: هو الضخم من الإبل والرجال. والجسيم من الفحول [٣].

ويتضح لنا أنّ كلتا الكلمتين تدلان على أصل واحد وهو الضخم من الإبل، ولعلّ صفة الضخامة قد تفضي بالشخص إلى الكبر، ومن هنا كُني بهما عن الكبر، وما حدث هنا أنّ العرب في الأصل كانت تُكني عن الكبر بإحدى الكلمتين فلمّا ابتُذِلَتْ اسْتُقْبِحَتْ، استغنوا عن أحدهما بتحريف صوت، واستعملوا الأخرى؛ لاستحداث كناية غير مستقبحة.

رابعا: ألفاظ أعضاء الجسم وما يرافقها.

- الأعضاء التناسلية وما رافقها:

١. (الختلة) و (الخثلة):

"والخَثْلَة: أَسْفَل الْبَطن، بالثاء وَالتَّاء زَعَمُوا، والثاء أَعلَى، وأحسب أَنّ اشتقاق خَنْثَل من الخَثْلَة"[٤].

إنّ (الختلة) و(الخثلة) أصلان مختلفان، فـ (الخثلة) "أَسْفَل الْبَطن وَالْجمع خثلات وخثلات"[٥]، يقول ابن فارس: "(خثل) الخاء والثاء واللام كلمة واحدة لا يقاس عليها. قال الكسائي: خثلة البطن: ما بين السرة والعانة، ويقال خثلة، والتخفيف أكثر[٦]. وأمّا (الختلة) فلم نجدها في المعاجم اللغوية، ولكنّها مشتقة من الجذر (ختل) الذي يدلّ على الخداع [٧].

(١) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج٢، ص٢٢٣.
(٢) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٥، ص١٨٠.
(٣) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١٤، ص١٠٧، والزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٥، ص١٩١.
(٤) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٤١٨.
(٥) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٤١٨.
(٦) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٢، ص٢٤٦.
(٧) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج٤، ص١٦٨٢.

يبدو أنّ العرب في أصل الوضع اللغوي استعملتِ (الخثلة)؛ لتدلّ على المنطقة ما بين السرة والعانة، ولمّا كثرت في كلامهم واستقبحت، استغنوا عن (الخثلة) بتحريف صوت الثاء تاء، واستعملوا (الختلة)؛ لاستحداث كناية لطيفة.

٢. (رجاج) و(رداح):

"امرأة رَجَاج ورَداح: إذا كانت ثقيلة الأوراكِ" (١).

إنّ (رجاج) و(رداح) أصلان مختلفان في المعنى، فـ (رداح) مشتقة من الجذر (ردح)، ويدلّ على تراكم الشيء بعضه على بعض، يقول ابن فارس: "(ردح) الراء والدال والحاء أصل فيه تراكم الشيء بعضه على بعض. ثمّ قال: كتيبة رداح: كثيرة الفرسان" (٢)، ويقول ابن دريد: والردح من قَوْلهم: ردحت ردحت الْبَيْت بالطين أردحه ردحا وأردحته إرداحا لُغَتَانِ فصيحتان إِذا كاثفت عَلَيْهِ الطين"(٣)، ثمّ كنوا بها عن المرأة ثقيلة الأوراك(٤)، وأمّا (رجاج) فمشتقة من الجذر (رجّ) وهو يدلّ على التحريك، يقول الفراهيدي: "الرج: تحريكك شيئا كحائط دككته، ومنه الرجرجة" (٥) ، ثمّ كنوا بها عن المرأة ثقيلة العجيزة" (٦).

يظهر أنّ العرب في بداية الأمر كَنَّتْ عن المرأة ثقيلةِ الأوراك بـ (رداح) ولمّا كثُرت في كلامهم واستُقْبِحَت، استغنوا عن (رداح) فحرفوا صوتي (الدال والحاء) جيمين، واستعملوا (رجاج)؛ لاستحداث كناية لطيفة.

٣. (خَبَجَ) و(حَبَجَ):

"وَله خبج الخبج الضُّراط وَهُوَ الحبج أَيْضا بِالْحَاء" (٧).

(١) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص٢١٧.
(٢) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٢، ص٥٠٨.
(٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٥٠٢.
(٤) ابن قتيبة، **غريب الحديث**، ج٢، ص١٠٠.
(٥) الفراهيدي، **العين**، ج٦، ص١٦.
(٦) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٣، ص٧٥.
(٧) أبو عبيد، القاسم بن سلام، **غريب الحديث**، تحقيق: محمد خان، حيد أباد، الدكن، ١٩٦٤، ج٣، ص٣١٧.

إنّ (الخباج) مشتقة من الجذر (خبج)، وهو يدلّ على الضراط، يقول ابن دريد: "خبج يخبج خبجا وخباجا وَهُوَ ضراط الْإِبِل خَاصَّة"[١]. ثمّ توسعوا في استعماله وأصبحوا يطلقونه على ضراط الرجل، وأمّا (الحباج) فمشتقة من الجذر (حبج)، وهو يدلّ على انتفاخ البطن، يقول ابن دريد: "ومحبوج إِذا أَطَم عَلَيْهِ أَي حبس نجوه فورم بَطْنه أَي احْتبسَ بَطْنه. والحباج أَيْضا: انتفاخ الْبَطن" [٢].

يبدو أنّ العرب كانت تستعمل (الخباج) لتدلّ على ضراط الإبل على وجه الخصوص، ثمّ توسعوا في ذلك فأطلقوه على ضراط الإنسان، ولمّا كثرت في كلامهم واستقبحت، استغنوا عن (الخباج) بتحريف صوت الخاء حاء، واستعملوا (الحباج)؛ لاستحداث كناية لطيفة.

- **الرأس وما رافقه:**

١. **(الزعر) و(الزمر):**

"وهو الزّعرُ، يقال: رجلٌ زعر، أي: قليلُ الشَّعرِ. والزَّمرُ مثلهُ" [٣].

إنّ (الزعر) مشتقة من الجذر (زعر)، وهو يدلّ على قلة شعر الرأس، يقول الفراهيدي: "الزعر: قلة شعر الرأس، وقلة ريش الطائر وتفرقه، إذا ذهب أطوله وبقي أقصره وأردؤه" [٤]، وأما (الزمر) فمشتقة من الجذر (زمر) ويدلّ على قلة الشيء، يقول ابن فارس: "الزاء والميم والراء أصلان: أحدهما يدل على قلة الشيء، والآخر جنس من الأصوات" [٥]، ثمّ كنوا به عن قلة الشعر[٦].

ويتضح لنا أنّ قلة شعر الرأس يُطْلق عليها العرب (الزعر)، فلمّا كثرت في كلامهم واستقبحت، فاستغنوا عن (الزعر) بتحريف العين ميما؛ لاستحداث كناية لطيفة، فأصبحت (الزمر) ثمّ كنوا بها عن قلة الشعر.

٢. **(شفاري) و(كفاري):**

"ويقال: رجل شُفاريّ وكُفاري: إذا كان عظيم الأذنين" [٧]

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٢٦٤.

(٢) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٢٦٣.

(٣) الفارابي، إسحق بن إبراهيم، **ديوان الأدب**، تحقيق: احمد مختار عمر، دار الشعب، القاهرة، ٢٠٠٣، ج٢، ص٢٣٢.

(٤) الفراهيدي، **العين**، ج١، ص٣٥٢، ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج٢، ص٧٠٥.

(٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٣، ص٢٣.

(٦) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٣، ص٢٣.

(٧) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج٢، ص٢٣٢.

إنّ (الشفاري) تطلق على دويبة فوق الجرذ عظيمة الأذنين، يقول ابن سيده: "ويربوع شفاري ضخم الأذنين وقيل هو الطويل الأذنين العاري البراثن"(١)، ثمّ كنوا بها عن الرجل ذي الأذنين العظيمتين(٢)، وأمّا (الكفاري) فمشتقة من (كفر)، وهو يدلّ على الستر والتغطية(٣)، ثمّ كنوا به عن الأذنين العظيمتين لأنّهما تسهمان في التغطية(٤).

استعملت العرب (الشفاري) للدويبة عظيمة الأذنين، ثمّ كنوا بذلك عن الرجل عظيم الأذنين، فلمّا كثرت في كلامهم واستقبحت، حرفوا (الشين) (كافا)؛ لاستحداث كناية مقبولة.

خامسا: ألفاظ المصائب والشدائد.

١. (الهنابث) و(الهنابذ):

"الهنابِث والهَنابِذ: الشدائد من الأمور"(٥).

إنّ (الهنابث) تدلّ على المصائب والدواهي، يقول ابن منظور: "هنبث: الهَنَابِثُ: الدَّواهي، وَاحِدَتُهَا هَنْبَثَةٌ؛ وَقِيلَ: الهَنَابِثُ الأُمور والأَخْبار المختلطة"(٦)، وأمّا (الهنابذ) فمشتقة من (هنبذ)، وهذا الجذر مهمل عند بعض المعجميين، يقول الزبيدي: "(الهنبذة) أهمله الجوهري"(٧)، وقد أطلقت (الهنابذ) على (الهنابث)، يقول ابن دريد: "والهَنبذة مثل الهَنبثة سَوَاء، وَهِي الهَنابذ والهَنابث" (٨).

ويتضح لنا أنّ العرب كانت تستعمل (الهنابث) دلالة على المصائب، فلمّا كثرت في كلامهم واستقبحت، حرفوا (الثاء) (ذالا)؛ لاستحداث كناية لطيفة.

٢. (البوائج) و(البوائق):

"ويقال: انباجت عليهم بائجَةٌ من الدهر، وانباقت عليهم بائقة، وهي البوائج والبوائق: أي الشدائد والدواهي"(٩).

(١) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٨، ص٤٧.
(٢) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٤، ص٦٢.
(٣) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٥، ص١٩١.
(٤) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٤، ص٦٢.
(٥) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص١٦٤.
(٦) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص١٩٨.
(٧) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج٩، ص٥٠٢.
(٨) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج٢، ص١١١٩.
(٩) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج١، ص٢٤١.

إنّ (البوائج) مشتقة من (بوج)، ويدلّ على الصياح، يقول ابن منظور: "بَوَّجَ: صَيَّحَ. وَرَجُلٌ بَوَّاجٌ: صَيَّاحٌ. وباجَ البرقُ يبوجُ بَوْجاً وبَوَجاناً، وتَبَوَّجَ إذا بَرَق ولَمَع وتَكَشَّفَ. وانْباجَ البرقُ انْبِياجاً إذا تكشَّف"(١)، ثمّ أصبح يُكنى بها عن المصائب لما يرافقها من صياح (٢)، وأمّا (البوائق) فمشتقة من الجذر (بوق)، ويدل على الدفعة الشديدة من المطر، يقول ابن السكيت (ت٢٤٤هـ): "بوق فعل من البائقة وهي الدفعة الشديدة من المطر"(٣)، ثمّ أصبح يُكنى بها عن المصائب، يقول ابن فارس: "فأما قولهم: باقتهم بائقة وهي الداهية تنزل، فليست أصلا، وأراها مبدلة من جيم"(٤).

ويتضح لنا أنّ العرب كنت عن المصائب بـ (البوائج) مستفيدة من معناها اللغوي (الصياح)، ولما كثرت في كلامهم واستقبحت، استغنوا عن (البوائج) بتحريف الجيم قافا، واستعملوا (البوائق)؛ لاستحداث كناية حسنة.

٣. (العقابيل) و(العقابيس):

"العقابيل والعقابيس: الشدائد من الأمور" (٥).

إنّ (العقابيس) و(العقابيل) تدلان على أصل واحد، وهو آثار المرض، يقول ابن منظور عن العقابيس: عقبس: العَقابِيسُ: بَقَايَا الْمَرَضِ والعِشْق كالعَقابيل. والعَقابيسُ: الشَّدَائِدُ مِنَ الأُمور(٦)، ثم أصبحتا كنايتين عن المصائب(٧). ويقول ابن منظور في العقابيل: "عقبل: العَقَابِيلُ: بَقايا العِلَّة والعَداوةِ والعِشْقِ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ عَلَى الشَّفَتَينِ غِبَّ الحُمَّى، الْوَاحِدَةُ مِنْهُمَا جَمِيعًا عُقْبُولة وعُقْبُول، وَالْجَمْعُ العَقَابِيل"(٨)، ثمّ كنوا بها عن المصائب لما في المرض من مصيبة (٩)،

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٢١٧.
(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٢١٧.
(٣) ابن السكيت، **الكنز اللغوي في اللسن العربي**، تحقيق: أوغست هنفر، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص٨٢.
(٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج١، ص٣٢٠.
(٥) أبو الطيب اللغوي، **الإبدال اللغوي**، ج٢، ص٢٠٧.
(٦) أبو السعادات، مجد الدين، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩، ج٣، ص٢٦٩.
(٧) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص١٤٤.
(٨) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص٤٦٦.
(٩) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص١٤٤.

ويتضح لنا أنّ العرب قد استعملت (العقابيس) أولا كناية عن المصائب، فلمّا كثرت في كلامهم واستقبحت، استغنوا عن (العقابيس) بتحريف السين لاما، واستعملوا (العقابيل)؛ لاستحداث كناية لطيفة.

الخاتمة:

يلجأ المتلكم إلى التحريف الصوتي في مفرداته المشكلة للحدث الكلامي، وذهب كثير من الباحثين إلى تفسير هذه الظاهرة عبر قوانين لغوية صارمة، وثمة فرق بين دراسة الظاهرة اللغوية اعتمادا على القواعد المعيارية الصارمة، والبعد الإنساني – المتأثر بالجانب النفسي والاجتماعي – الذي يؤثر في توجيه الظاهرة اللغوية.

وانطلاقا من تلك الرؤية عمد الباحثان إلى تدارس تلكم الألفاظ المحرفة أصواتها، وتوصلا عبر الشواهد التي ساقاها في تضاعيف البحث إلى أنّ التلطف كان دافعا من الدوافع التي حدت بالعرب إلى تحريف بعض أصوات مفرداتها أو الجنوح إلى جذور صامتية متوافقة معها إلى حد ما.

وعليه فإنّ البعد الإنساني يلعب دوره في تغيير اللغة وتطويرها بما يتناسب مع حاجاته وأغراضه، وَتَتَجَلّى العلاقةُ الوطِيدةُ بين اللغة والمجتمع عِنْدَمَا تَتفاعلُ اللغة معَ تطَوُّر المجتمعِ، فكلّمَا ظهرَ فيه عَلامات التَّقَدُّمِ في الحضارَة والعادات والتَّقاليدِ وغيْرِهَا من الظواهر الاجتِماعيّة، سارَعَتِ اللُّغَةُ إلى الاسْتِجابةِ لهذَا التَّطوُّرِ، فينشَأُ عنها مفْرَداتٌ وَمصطلحَاتٌ تُعَبِّرُ عَنْ أَشكالِ التَّقَدُّمِ الحضارِيّ؛ لِيستطِيعَ الفرْدُ التَّعبيرَ عن الآراءِ والأفكارِ الَّتي يسْعَى إِلَى إِيصَالها إِلَى مَا يحيطُ بهِ مِنْ أَفْرَادِ جنسهِ فِي مجالات الحياةِ كافَّةً، بما يتناسب مع حاجاته وأغراضه.